مُحتجزو المخيمات والسجون.. الخطر القائم من تَرِكة داعش في شمال شرق سورية

د. ريبر خلف

باحث في مركز الفرات للدراسات

مقدمة

في بقعة جغرافية صغيرة من شمال شرق سوريا، يعج الآلاف من محتجزي تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، بعضهم يحمل بداخله مشاعر مختلطة بين الألم والخوف والحزن والفرح والرهبة والندم، هؤلاء وجدوا أنفسهم كضحايا. وبعضهم الآخر يحمل بداخله مشاعر الأمل والرجاء والانتقام، ويعتقدون أنها مجرد نكسة، ودولتهم ستستمر رغم سقوطها في الموصل والرقة ودير الزور حتى آخر معاقله في الباغوز، فدولتهم ليست مجرد مدن إنما فكر سيتواصل في أماكن احتجازهم ويفرضوه على الآخرين.

تمهيد

الجذور وفريضة الجهاد

بالرغم من اختلاف التسميات والعناوين الدينية للجماعات المتشددة، إلا أن جميعها تنتمي بجذورها إلى تيار واحد وهو "التيار الجهادي" فالفكر الأيديولوجي موّحد مهما كانت الشخصيات التي ترمز لها أو الانشقاقات التي تحصل فيها، إلا إنها استمرار وتمدد لهذا الفكر.

وعند العودة إلى الجذور الأيديولوجية، رغم الفوارق يلاحظ مدى قدرة افكار التنظيم إلى التطور والاستمرار.

كانت البداية مع إعلان تنظيم "جماعة التوحيد والجهاد" انضمامه لتنظيم القاعدة عام ١٩٩٩، وشارك في المقاومة العراقية للغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣.

وفي عام ٢٠٠٤، أعلن أبو مصعب الزرقاوي تأسيس تنظيم القاعدة في العراق، وبعد مقتله في غارة أمريكية في ٧ يونيو ٢٠٠٦، تولى أبو أيوب المصري قيادة التنظيم، وكان وجود القاعدة في العراق على الأرض محصوراً في الفلوجة وما حولها من مدن عراقية.

وفي اكتوبر ٢٠٠٦، أعلن أبو أيوب المصري تأسيس الدولة الإسلامية في العراق، تحت إمارة أبو عمر البغدادي.

وفي أبريل ٢٠١٠ تولى أبو بكر البغدادي الإمارة بعد مقتل المصري وأبو عمر البغدادي في عملية أمريكية – عراقية مشتركة استهدفت مقرهما.

من الفكر الأيديولوجي إلى الواقع المفروض (دولة الخلافة)

بالرغم من دور الأيديولوجية في طبيعة عمل التنظيم، إلا إن استراتيجيته الجديدة بدأت تميل نحو أهداف أخرى، كحيازة الأموال والموارد والقوة، فكانت إقامة الخلافة في العراق وسورية، هي البداية الحقيقية لهذا التنظيم وغير معروف نهايته.

منذ عام ٢٠١٣، بدأ تنظيم اسلامي متطرف بالانخراط مع القاعدة، وطرح نفسه ليصبح القاعدة الحقيقية لأي جماعة إسلامية، وحَرص على تحويل هدف القاعدة الأيديولوجي من حقيقة مُفتَرَضَة إلى واقع مُعاش، مما جعل منه هدفاً لجذب متبرعين وأعضاء جدد.

وفي ابريل ٢٠١٣، أعلنت الدولة الإسلامية في العراق عن دمج جبهة النصرة في سوريا، وأعلن البغدادي وقتها الاسم الجديد للتنظيم وهو "الدولة الإسلامية في العراق والشام" الذي أصبح معروف إعلامياً بتنظيم "داعش"، وتلتها السيطرة على عدة مدن عراقية من بينها مدينة القائم على الحدود السورية.

وفي ٢٩ يونيو ٢٠١٤ أعلن التنظيم تأسيس "الخلافة الإسلامية"، وإلغاء الحدود بين الاراضي التي تقع تحت سيطرته، حيث كان داعش وقتها يسيطر على مساحة كبيرة من الأراضي، قدرت بأكثر من ٣٤ ألف ميل مربع في سوريا والعراق، تمتد من سواحل البحر المتوسط حتى جنوبي بغداد.[١] وهي مساحة تعادل مساحة المملكة المتحدة، وحكم مواطنين وصل تعدادهم لسكان سويسرا، وبدأ بوضع هيكلية لدولته تعادل مهام أي دولة أخرى، بالإضافة إلى فرض للضرائب والإتاوات على ملايين الناس المقيمين في الأراضي التي يسيطر عليها.

[١] الجيب الأخير.. قصة داعش من النشأة وإعلان الخلافة حتى مصارعة الموت /

سقوط دولة الخلافة

أسفرت المكاسب والإنجازات العسكرية التي حققها التنظيم، عن تدخل دولي بقيادة الولايات المتحدة لمواجهته، وبدأ بالتعاون مع قوات محلية (قوات سورية الديمقراطية) بفرض تحدي مباشر للحد من قدرته على البقاء والتمدد. ومنذ حينها بدأت تتقلص مساحة الأراضي التي يسيطر عليها هذا التنظيم.

وكان عام ٢٠١٩ الأكثر تميزاً للعالم، والأشد تأثيراً على مقاتلي ومريدي تنظيم الدولة الإسلامية، حيث مُني بخسائر لا تُقدر، فمن الناحية الجغرافية خسر آخر معقل له في (الباغوز)، ومن الناحية المعنوية خسر رمز ومؤسس دولتهم (أبو بكر البغدادي). ولم يبقى لدولتهم سوى اسم يشير إلى "دولة" لا وجود لها على الأرض، بعدما ألهمت ٤٠ ألف متطوع من حول العالم التحقوا بها، حيث وصلت في مرحلة من المراحل لحوالي ١٥٠٠ مقاتل أجنبي يلتحقون بها كل شهر.[٢]

وباستعادة قوات سوريا الديمقراطية والتحالف الدولي آخر جيب من الأراضي السورية التي كانت تحت سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية، كانت النهاية الرسمية لتجربة الجماعة الارهابية القصيرة الأمد في إدارة شؤون دولة. "هذه كانت خلاصة آخر تقرير رفعه المفتش العام في البنتاغون إلى الكونغرس حول "عملية العزم الصلب" .[٣]

استمرار فكر الخلافة

لفهم حقيقة الأهداف بعيدة المدى للتنظيم، نلاحظه في الشعار الذي تردد صداه منذ تأسيسه وهو " باقية وتتمدد " وهذا يعطي حقيقة واحدة فقط، إن التنظيم ليس مجرد مساحة جغرافية، وإنما فكر يسعى لتأسيس نفوذ عالمي يجعله كمشروع يستقر في الاذهان ويتمدد.

فالاختلاف بين سقوط دولة الخلافة واستمرار فكر الخلافة هي المساحة الجغرافية والواقع المفروض، لكن الرابط المشترك بينهما هو استمرار الفكر الأيديولوجي بين الملتحقين به والمنتمين

[٢] سقوط الباغوز: رحلت «دولة داعش» وبقي خطرها

[3] Fine, Glenn and others., Operation Inherent Resolve, Lead Inspector General Report to the United States Congress, July 1, 2019 to October 25, 2019.

له لإعادة تأسيس دولتهم من جديد عند أي فرصة قد تتكرر عندما يتواجد قياديين إما في السجون أو متخفيين خارجها، وهيكلية موجودة مسبقاً، وعناصر لا يزالون يحملون الفكر المتشدد. فالخلافة لديهم لم تنتهي عام ٢٠١٩، لأن الذهنية لا تزال موجودة، كما إن قتل خليفتهم لم يثنيهم عن المتابعة، وهو ما بدأت به هذه الجماعات منذ عام ١٩٩٩ بجعل الخلافة وراثية عند مقتل زعيمها ولم يثنيهم الآن متابعة نهجهم عام ٢٠٢٠. لذا سيبقى داعش يمثل تهديداً عالمياً رغم اختفاء دولته في سوريا والعراق. فمبايعتهم لـ "ابو ابراهيم القرشي" يؤكد إعادة إحياء دولتهم بشكل أقوى رغم أنهم الفريق الخاسر وخلافتهم منتهية، إلا إنها (الخلافة) ستستمر كخلافة مُفتَرَضَة تواصل شن هجمات، ويشكل خطراً كبيراً، فالظروف التي انتجت داعش ما زالت موجودة، كالفوضى، والانقسامات، والاقتصادات الضعيفة، بالإضافة إلى عوامل أخرى تُحفز وتساعد على ظهور جماعة تَخْلف داعش.

وهنا تهدف الدراسة إلى تحليل أهم العوامل التي ستسهم في استمرارية تنظيم الدولة الإسلامية، بالرغم من إنهائه وجودياً على الأرض، لكن تَركته المنسية في شمال شرق سوريا أشد خطورة من سابقيه، مما يمهد لخلافة جديدة، في ظل تهميشهم بهذا الشكل.

١. خلافة مُفتَرَضَة في شمال شرق سورية

الإعلان عن نهاية التنظيم بعد استعادة آخر جيب له، لم يكن نهاية حقيقية، إنما حمل معه تفاصيل مثيرة ومُقلقة للغاية، فبالرغمِ من افتقار التنظيم للقدرة على تنفيذ هجمات عسكرية واسعة النطاق، أو السيطرة على أراضي لفترات طويلة من الزمن، فإن أنشطته المزعزعة للاستقرار، كعمليات "الاغتيالات والكمائن والعمليات الانتحارية وحرق المحاصيل" آخذة في الازدياد، الهدف منها غرس الخوف وتقويض الاستقرار المحلي، واثبات إن "الدولة الإسلامية" لا تزال باقية.[٤]

وهذا ما يبدو عليه الوضع في شمال شرق سوريا، حيث تضم مخيمات تأوي الآلاف من عائلات التنظيم، وأطفال المقاتلين. بالإضافة إلى مقاتلين كانوا يتولون مهام حساسة ودقيقة، وقياديين، ومشرفين قابعين في سجون قوات سوريا الديمقراطية، فمن غير المستغرب أن ينشط

[4] Fine, Glenn and others., op. cit., p. 2.

التنظيم في هذه المخيمات بتجنيد أعضاء جُدد، بالإضافة إلى إعادة هيكلة جديدة تخطط لها في السجون، في ظل صمت العالم حول مصيرهم، مما شَكّل عُقدة يصعب حلها حتى الآن، فهؤلاء يشكلون خطورة أكثر مما كانوا عليه عند تأسيس دولتهم. فكما لوحظ أعلاه سرعة تشكيل التنظيم ووضع أسسه. لكن الوضع يختلف الآن كونه مهيأ من كافة النواحي، بانتظار الفرصة لخروجه وانتشاره بشكلٍ أسرع مما كان عليه، حيث يحمل أغلبهم، الضغينة وروح الانتقام أكثر من قبل، فمقتل زعيم التنظيم "ابو بكر البغدادي" لا ينهي التنظيم. فالمهام تنتقل إلى آخر، لذا فهؤلاء المحتجزين مهيئين لإعلان الخلافة من جديد حالما تهب رياحها، وخاصة بعد مبايعة زعيم آخر فور مقتل البغدادي وهو "ابو ابراهيم القرشي".

٢. محتجزي التنظيم عماد الخلافة المُفتَرَضَة

بعد استعادة السيطرة على الأراضي التي احتلها التنظيم من قبل التحالف الدولي وقوات سوريا الديمقراطية، أصبحت الأخيرة تسيطر على السجون والمخيمات التي تأوي عناصر التنظيم. إلا أنه ومع مرور وقت كافي أصبح هؤلاء المحتجزين عبئاً وخطراً على المنطقة والقوات المشرفة عليها. فغالبية المُحتجزين من المقاتلين الأجانب في حملات جهادية، كما جذبوا أشخاصاً ممن رغبوا العيش في كنفها دون قتال.[٥] منهم من سلّم نفسه ومنهم من هربوا من معاقلهم السابقة في سوريا، كمنبج في غرب الفرات، والرقة في شرقه، نزولاً عند البلدات الممتدة على جانبي حوض الفرات بريف دير الزور، والتي كانت لوقت طويل قاعدة أساسية للتنظيم، وفي نهاية المطاف لجأ الجميع إلى الباغوز، والذي ضم آلاف السكان من عائلات ومئات المقاتلين ممن رفضوا رفع الراية البيضاء، أمام تقدم قوات سورية الديمقراطية، حيث قاتل عناصر التنظيم حتى نفاذ ذخيرتهم، وعندها فقط خرجوا لتسليم أنفسهم. فهؤلاء يعتبرون من أشد المقاتلين والمريدين ولاءً للتنظيم، فقد أصروا على ولائهم حتى بعد انهيار دولتهم المزعومة، وتمسكوا برايتها رغم فظاعة جرائمه خلال سنوات حكمه في سوريا والعراق.[٦]

وما تبقى من المقاتلين الآن يتراوح عددهم بين ١٤٠٠٠ و ١٨٠٠٠ عضواً في العراق وسوريا، بينهم حوالي ٣٠٠٠ مقاتل أجنبي. لذا فلا يزال التنظيم يحتفظ بمخزون كبير من الجنود،

---

[5] The risks of ignoring former ISIS women members /

[٦] سنة ٢٠١٩ هزيمة «داعش»خسر فيها التنظيم ما بقي من «دولته»... وفقد «رأسه» /

ويحاول تعزيز هذه القوات للعودة إلى نشاطهم السابق، وجذب مقاتلين جُدد عبر نشاطه في وسائل التواصل الاجتماعي عالمياً من خلال خلاياه في الخارج، أما السجون والمخيمات في شمال شرق سوريا فتحتوي على العديد من هؤلاء الناشطين في مجال الإعلام[٧] يعملون على التلقين النفسي والخوف والترهيب، لجعل هذه المراكز أشبه بمعسكرات معزولة عن العالم الآخر.

لذا يمكن القول إنه بانتهاء معركة الباغوز، حُسم " عُقْدَة " جغرافية التنظيم، لكن الكم الهائل من الخزان البشري الخارج منه وباقي المناطق المُحررة قبل، كفيل بالإجابة لوجود عُقْدَة جديدة أكثر خطورة مما سبقتها وهي "محتجزي وخلايا التنظيم" عماد الخلافة المُفتَرَضَة، يتمثل خطرها في تحول المجموعة الواحدة إلى أجزاء لا مركزية، موزعة ما بين المخيمات والسجون في شمال شرق سوريا. لذا فالأهداف الرئيسية للتنظيم لم تعد تحدد، في ظل غياب قيادة مركزية. فسيكون للأعضاء الأفراد حرية التخطيط للعمليات الإرهابية ومواعيد ضرب أهدافهم يتم التخطيط لها ضمن مجموعتهم في مكان احتجازهم.[٨] التي تحولت إلى معسكرات لإحياء خلافتهم بعوامل سنتناولها بالتفصيل.

٣. (المخيمات) من مركز للاحتجاز إلى قاعدة تأسيس للخلافة المُفتَرَضَة

الكم الهائل من القادمين للمخيمات، شكَّل عبء كبير على القائمين عليه، فالعدد الكبير من أعضاء التنظيم وعائلاتهم، شكّل تهديداً إرهابياً جديداً، فالمخيم سيصبح في هذه الحالة المطبخ الجديد لأيديولوجية داعش نظراً للتمركز الكثيف لهم. فبالإضافة إلى عائلات التنظيم هناك الكثير ممن ساندوا الدولة الإسلامية، عندما كانوا يحكمون على الأرض، لذا سيشكلون هيكل الدعم لمواصلة القتال السري، لكن يبقى التخوف، من صعوبة الفصل بين ضحايا التنظيم والمتعاونين معهم، فالخوف والرعب من التنصل منهم يشكل أمراً بالغ الخطورة.[٩]

وفي المشهد الصحراوي لمخيمات اللجوء في شمال شرق سورية، يتمركز العديد من الخلايا النائمة التي تحيط به وتتمركز داخله، فالخوف من شن هجوم لتحرير من بداخله، أو

---

[7] Fine, Glenn and others., op. cit., p. 2.
[8] The risks of ignoring former ISIS women members /
[9] Jenkins, M., " Islamic State Foreign Fighters Detained in Syria: The Options ", *CTC SENTINEL* 12, 5 (2019), p. 12.

الهجوم من الداخل، يعتبر الأمر الأكثر خطورة على المجتمع بشكل عام وعلى المنطقة وإدارتها بشكل خاص.

في **مخيم الهول** على الحدود السورية العراقية، القريبة من بلدة الهول، يعود تأسيسه إلى العام ١٩٩١، حيث كان ملاذاً للاجئين العراقيين، أنشأته المفوضية السامية للأمم المتحدة بالتنسيق مع الحكومة السورية. وفي منتصف نيسان ٢٠١٦، افتتحت الإدارة الذاتية هذا المخيم لاستقبال الفارين من مناطق سيطرة التنظيم.[١٠] وأصبح هذا المخيم يضم حوالي ٧٠ ألف نسمة، منهم حوالي ٣٠ ألف عراقي و ١١٢٠٠ أجنبي من ٥٤ جنسية مختلفة.

وعلى بعد ٤٥ كم شمال الرقة، يتمركز **مخيم عين عيسى** الذي أُنشأ في مارس ٢٠١٦ ويضم حوالي ١٢٩٠٠ نسمة، منهم ٩٥٠ من غير السوريين[١١] ويحتفظ بداخله على عوائل لتنظيم الدولة الإسلامية ممن يرغبون في تجديد هوسهم بدولتهم، ويعتقدون بأن النصر حليفهم.

وبالقرب من مدينة ديريك (المالكية)، يوجد **مخيم روج**، يضم حوالي ٥٠٠ عائلة، ويحتضن المخيم نساء قيادات وأعضاء تنظيم الدولة من جنسيات أوروبية وآسيوية وبعض البلدان العربية كالعراق والسعودية ومصر والمغرب وبعض الجنسيات الأفريقية، ولا يزلنَ متمسكات بشريعة داعش ويتكلمنَ العربية الفصحى، وفي أغلب الأحيان يمنعنَ مشاركة أطفالهنّ في الألعاب الترفيهية بحجة الحرام.

فعند انتهاء التنظيم، خرج العديد من تلك النساء مع أطفالهن من المعارك إلى هذه المخيمات، وكان أثر الهزيمة على أغلبهن كالحلم، والذي تحول إلى كابوس باحتجازهن في المخيمات، لكن لسيطرة قانون دولة الخلافة على أفكارهن، أصرْن على متابعة أيديولوجية دولتهن (داعش) لإيصال رسالة إلى جميع من في المخيم بشكل خاص والعالم بشكل عام، أن الخلافة لا تزال مستمرة رغم سقط الدولة (دولة الخلافة) وبرزت معالمها كالتالي:

[١٠] مخيم الهول تحت المجهر: "أخبار الآن" تكشف واقعه بالأرقام والمعطيات

[11] Women and Children First: Repatriating the Westerners Affiliated with ISIS

٣. ١. خلافة في المخيمات

بعد سقوط التنظيم في ٢٣ مارس ٢٠١٩، بدأ الكثير من عناصره بوضع قواعد تتعلق بالحياة الجديدة في المخيم، تكون القيادة لامرأة تتلقى معلومات حول تحرك الحرس، بالإضافة إلى تقرير العقوبات. ولفترة لا تتجاوز السبعة أشهر، تمكن المتطرفون في المخيم من إنشاء هيكل داخلي مُعقد، بنفس الصورة التي كانت عليها الخلافة الإسلامية عند إعلانها في يونيو ٢٠١٥.[١٢] تعتمد على:

أ- عائلات مقاتلي التنظيم

تمثل عائلات التنظيم مجموعة متنوعة في عدد من النواحي، كزوجات وأرامل مقاتليها، حيث يشكلون مشكلة أكثر صعوبة من المقاتلين أنفسهم، فمنهن من تمّ إحضارهن مع أزواجهن إلى سوريا، ومنهنّ من قدموا إلى سوريا بحثاً عن ازواج جهاديين. لذا فتجاربهم ومواقفهم تختلف اختلافاً كبيراً وفقاً التزام أيديولوجي فرضه التنظيم يقوم على النشاط المنزلي لتلقين أطفالهن وأطفال الآخرين للميل نحو التطرف والعنف. وأنشطة من الوحدات الخاصة لمهام مختلفة فرضتها الدولة الإسلامية لتحويل الضحايا المُصابين بصدمات نفسية إلى مُتعصبين ملتزمين.[١٣]

ب- نسوة متشددات

ركز داعش في أيديولوجيته المتطرفة بشكل خاص على عقول أتباعها من الإناث. لذا دَعَمَ بعض النساء وخاصة الأجنبيات، لزرع الكراهية ضد مجتمعاتهن. فبعد هزيمته العسكرية، يبقى أمله الوحيد للحصول على الدعم في عملياته السرية على أعضاءه من الإناث في المخيمات.[١٤] ممن كان لهن دور رئيسي في مرحلة التأسيس والنمو عام ٢٠١٤، فبالرغم من دورهِنّ المحدد في الجبهات كالقتال، إلا أن أغلبهنّ لَعِبْنَ الدور الأكبر في شؤون أخرى كالتعليم والتجنيد، وتنفيذ عمليات إرهابية، بالإضافة إلى تأمين مصادر للإيرادات. كما كان للنساء الدور الأكبر في تحريض العديد من الشباب للانضمام إلى تنظيم الدولة الإسلامية عبر وسائل التواصل الاجتماعي، والوعد بالزواج منهم، بالإضافة إلى دورها في تعليم الأطفال منذ ولادتهم

[12] ISIS women impose their own caliphate in Syria's Al Hol camp /
[13] Jenkins, M., op. cit., p. 12.
[14] The risks of ignoring former ISIS women members /

على تعاليم الدولة الإسلامية والقائمة على التطرف، وبرزت أسماء عديدة منهنَّ حَصَلنَ على ألقاب شهيرة في القنوات والصحف العالمية، كان لَهُنَّ الأثر الأكبر في دعم وتأسيس تنظيم الدولة الإسلامية مثل:

"**سالي جونز**" الملقبة بـ "أم حسين البريطانية" و "سكينة حسين" كما أُطلق عليها اسم "الأرملة البيضاء" في سورية، كانت عازفة غيتار ومغنية بريطانية، وفي عام ٢٠١٣ انضمت للتنظيم[١٥] وأصبحت بعدها من أشهر النساء البريطانيات اللاتي انضممن لداعش، لدورها في تدبير المؤامرات الإرهابية بالإضافة إلى كونها داعية للتجنيد في صفوف التنظيم، ويعتقد أنها قُتِلت في غارة أمريكية في الرقة.[١٦]

كان لـ "**جونز**" قيمة تكتيكية قليلة في ساحة القتال، إلا إن فقدانها كان خسارة كبيرة لجماعة التنظيم، فبعد اكتسابها سُمعة سيئة في الصحافة نتيجة ظهورها بالسلاح وتحريضها للقتل، أصبحت رمزاً لهذه الجماعة، لتأثيرها على باقي النساء من الدول الأجنبية، كون قوتها كانت تكمن بفكرة إمكانية وصولها للمجتمع البريطاني، بالإضافة إلى وصف نفسها "بقائدة كتيبة النساء الجهاديات"[١٧]

"جونز" كانت نموذج واحد فقط للكثير من أمثالها مما يؤكد على أن النسوة المتشددات يعتبرنَ حركة رائدة بين الجماعات الجهادية. يعملنَ الآن على جذب وميل كل النساء المحتجزات في المخيم. ففي الآونة الأخيرة التي شهدت حالة فوضى، أسست مجموعة صغيرة مِنهُنَّ نموذج يحاكي دولة الخلافة في مخيمات شمال شرق سورية[١٨] لقناعتهنَّ بعدم سقوط الراية السوداء، ولا تزال تلوح في الأفق، يحلمنَ بها ويتخفين خلفها. حتى في داخل سِجْنِهنَّ ما زِلْنَ يُفَكِرنَ بالنصر والدولة والحكم والشريعة والفِقْه والذبح والقطع والحسبة والرجم، كما إن احتجازهن في المخيمات لم يمنعهنَّ من الحلم بنصر دولتهم (دولة الخلافة / داعش) فما زال التنظيم مسيطر على

[15] Sally Jones; Who was the, White Widowk? What we know about the Isis member reportedly killed in a US drone strike /
[16] The risks of ignoring former ISIS women members /
[17] Sally Jones; Who was the, White Widowk? What we know about the Isis member reportedly killed in a US drone strike /
[18] ISIS women impose their own caliphate in Syria's Al Hol camp /

أفكارهن،[١٩] واستمروا بالالتزام بقانون داعش والسيطرة على المخيمات كدولة الخلافة المذكورة أعلاه من خلال العمل على:

اختيار خليفة داخل المخيم

الافتقار إلى عنصر الرجال حرض النساء من عوائل التنظيم في المخيمات لاختيار زعيمة لهنَّ لتقوم مقام الأمير أو الخليفة، وبحسب إحدى عناصر أمن المخيم، هؤلاء النسوة يعملنَ على تأمين خليفتهم أو أميرتهم بنفس الأسلوب عند تأمين البغدادي وإخفائه، فكل ليلة يتم نقل هذه المرأة (المُختارة) لتنام بخيمة مختلفة عن سابقتها لتجنب اعتقالها.

اختيار القادة

كما كان يفعل البغدادي في معسكر بوكا بالعراق بتجنيد المتطرفين وتأهيلهم ليصبحوا قادة التنظيم، بدأ النساء في المخيمات، بتعزيز دور الأجنبيات والمحليات لتأهليهن ليُصبحنَ قادة ويستلمنَ المهام. ويأتي في مقدمة هؤلاء النساء "الروسيات" اللاتي سيطرن على المخيم، ويعتبرنَ الأكثر خطورة، لدرجة رفض العديد من ساكني المخيم بالحديث عنهنَ خوفاً من الانتقام.[٢٠]

وقد ألقت هؤلاء المتشددات انطباعاً كبيراً في سيطرتهن على المخيمات، فمنهن " الطبقة الحاكمة (القيادات)" واخريات تباينت أدوارهِنَّ بالعمل في الجهاز الاداري والإعلامي، والأمني، ولوجستيين، ومجندين، ودعاة، وجهاديين.[٢١]

ج – تأسيس جيش داخل المخيمات

شكّلت المخيمات التي تأوي عناصر التنظيم أرضية خصبة للدعوة نحو التطرف بالإضافة إلى عمليات المؤامرة بين النساء للانتقام ممن لا يلتحقون بهن أو يطيعون الأوامر أو ممن خرج عن تعاليم الخلافة المزعومة.[٢٢] فالعدد الهائل لموالي التنظيم في هذه المخيمات من

[١٩] نساء داعش: قنابل موقوتة قد تنفجر في أي وقت /

[20] ISIS women impose their own caliphate in Syria's Al Hol camp /

[21] Women and Children First: Repatriating the Westerners Affiliated with ISIS /

[22] Contempt and violence spiral in al-Hol camp, where ISIS women dread regime's return /

نساء وأطفال يتلقون تقاليد التنظيم يكفي لتأسيس جيش جديد يقوم على الأيديولوجية المتطرفة، وتحويل المخيم من مخيم للنازحين إلى معسكر للجيش.[٢٣]

وبالرغم من الاجراءات الأمنية المشددة، أسس هؤلاء النسوة ألوية داخل المخيم مقسمة إلى أربعة مهام وهي:

- لواء (الدوريات الدينية) يقوم على الإشراف على الزي الديني كارتداء النقاب، وأداء الصلاة.
- لواء (المُخبِرات)، يقوم بتحذير الآخرين عندما يستعد الأسايش لأية عملية مداهمة.
- لواء (الجلادين) ممن ينفذون أحكام الإعدام وغيرها من العقوبات، كإحراق المحلات التجارية وجلب الأسلحة. وضرب ممن لا يطيعون الأوامر.[٢٤]

د – أطفال التنظيم **(جيل مدرب على الوحشية)**

يشكل الأطفال التحدي الأخطر وخاصة الرضع والصغار فليس لديهم أية تقديرات أيديولوجية بعد، ويعتبرون أبرياء، أما المراهقين فقد شاركوا عمداً مع مقاتلي الدولة الإسلامية وغيرها من التكوينات العسكرية الغير نظامية، في حملاتهم العنيفة، حيث صورت مقاطع فيديو لتنظيم الدولة الإسلامية، أطفالاً يعدمون سجناء أو يحملون رؤوس مقطوعة لضحايا. هذه الأمور لم تكن مجرد أحداث استثنائية تم تنظيمها بغرض الدعاية، إنما جزء من استراتيجية مُنظمة لغرس الوحشية بين الأجيال القادمة، وقد أرسل تنظيم الدولة آلاف الأطفال ممن لا يتجاوز أعمارهم ١٣ عاماً إلى معسكرات التدريب حيث تم تدريبهم على استخدام السكاكين، وتقطيع رؤوس دمى بشعر أشقر على أنها "دمى كافرة" يرتدين بدلات برتقالية، وهو الزي الذي يرتديه المحتجزين لدى التنظيم، مما ترك أثراً على سلوكهم العقلي والعاطفي، ولا سيما قدرتهم على التكيف مع معايير مختلفة تماماً عن عالم الطفولة.[٢٥]

ويوجد الآلاف من أطفال تنظيم الدولة الإسلامية ممن التحقوا بمدارسهم، وتلقوا التعليم لأيديولوجيته، بالإضافة إلى الكثير من الأطفال ممن يتلقون ذات التعليم من أمهاتهم وجيرانهم،

---

[23] Fine, Glenn and others., op. cit., p. 5.
[24] ISIS women impose their own caliphate in Syria's Al Hol camp /
[25] Jenkins, M., op. cit., p. 12.

فالاثنين باتوا يشكلون خطراً جديداً وأشد ممن كانوا من قبل من عناصر التنظيم، فهؤلاء تشربوا العنف والانتقام منذ الطفولة، ومن المؤكد إن مستوى هذا التنظيم سيرتفع مرة أخرى ويمتد توسعه من داخل المخيمات إلى خارجها ليصبح أقوى وأكثر انتشاراً من قبل،[٢٦] ويشكل خطراً على المنطقة بشكل خاص وعلى العالم عامةً فبحسب البيانات تتراوح النسبة الأكبر منهم من سورية والعراق وفق تقرير الأمم المتحدة:

ففي ٢٩ مايو ٢٠١٩، بلغ عدد سكان الهول وحدها حوالي ٧٣٧٨٢ نسمة او ٢١٣٣١ أسرة

٩١% من النساء والأطفال	٦٥% دون سن ال ١٢
الجنسيات	
عراقيون ٤٣%	سوريون ٤٢%	بلدان اخرى ١٥% [٢٧]

ويقدر العدد حوالي ٤٠ ألف قاصر ممن لا يعرفون العالم خارج الخلافة منهم حوالي ١٠٤٠٠ من الأجانب والباقي من السوريين والعراقيين.

بالإضافة إلى ما سبق فإن الافتقار إلى مناطق للعب، والتعليم، والصحة، يوّلد عندهم العدائية بشكل متزايد، مما يعكس في سلوكهم، كما أن السماح لحرية التنقل لهؤلاء الأطفال في جميع أقسام المخيم، يؤدي إلى تزايد العنف، مما يُعرض الأطفال الصغار ممن يتعلمون من أمهاتهم رفض التنظيم، إلى حالات الاعتداء من آخرين متشددين بتحريض من أُمهاتهم وقد شهدت المخيمات تسجيل حالات اغتصاب لفتيات صغيرات على أيدي صبية أكبر سناً بتحريض من أمهاتهم.

لذا فالتعرض للتطرف في سن مُبكرة يجعل من الصعب التخلص منه في سن البلوغ. فيبقى حالة هؤلاء أخطر من الآخرين، كونها تعزز لتأسيس جيش من المتطرفين تشربوا تعاليم

[٢٦] مخيم الهول تحت المجهر: "أخبار الآن" تكشف واقعه بالأرقام والمعطيات

[27] Syria: Humantarian Response in Al Hol Camp, Situation Report No. 4 – as of 29 May 2019

التنظيم، وتربوا على القسوة والانتقام.[٢٨] عددهم يزداد بالرغم من حالات الوفاة التي تحصل نتيجة سوء التغذية أو لأسباب صحية، أو لخروج بعضهم الآخر، فمخيم الهول بشكل خاص يبدو في حالة نمو مستمر لدرجة أن عدد قاطني المخيم أصبح أكبر بعشرة أضعاف من سكان مدينة الهول نفسها والتي تبعد عنها كيلو متر واحد فقط.[٢٩]

٤. محتجزي (السجون)

تحتوي السجون في شمال شرق سوريا حوالي ١١٠٠٠ رجل، منهم حوالي ٩٠٠٠ من السكان المحليين (سوريين وعراقيين) وحوالي ٢٠٠٠ رجل من ٥٠ دولة أخرى.[٣٠] العشرات منهم أوروبيون، من دول مثل بلجيكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا، ومن دول إسلامية مثل مصر وتونس واليمن.[٣١] وتعتبر قضية هؤلاء المحتجزين "أزمة" أصعب من المخيمات، تقع على عاتق قوات سورية الديمقراطية.[٣٢]

الخطر الرئيسي لهؤلاء المعتقلين هو عدم وجود أي خطة بديلة لمستقبلهم حتى الآن، وهو ما سيشكل مصدر خطر وقلق دائم للجميع لعدة أسباب منها:

٤. ١. السجن كفاصل ومركز رئيسي للخلافة المُفتَرَضَة

بعد الهزائم التي مُني بها التنظيم، ومنذ حينها وهو يحاول إعادة تجميع صفوفه، ويعتبر السجن الفاصل والنقطة الرئيسية للظهور بقوة مرة أخرى. ففي بداية ظهور داعش، حصلوا على الكثير من القوة القتالية والمقاتلين من خلال فتح السجون وإطلاق سراح المعتقلين في الموصل، وقد انضم الآلاف من المقاتلين إليهم. فزعيم التنظيم "أبو بكر البغدادي" أمضى وقتاً في معسكر اعتقال تديره الولايات المتحدة، وداخل هذه المعسكرات نشأ فكرة التنظيم بين المحتجزين، وهو ما أدركه قيادة التنظيم بإمكانيات السجناء ودورهم، لهذا نظموا حملة لإطلاق سراحهم.

---

[28] Women and Children First: Repatriating the Westerners Affiliated with ISIS /
[29] Fine, Glenn and others., op. cit., p. 8.
[30] Fine, Glenn and others., Ibid., p. 5.
[31] There Is No Plan B for ISIS Prisoners /
[32] Fine, Glenn and others., op. cit., p. 5.

هذه الاستراتيجية من المرجح جداً تكرارها في شمال شرق سورية، فالولايات المتحدة تحتجز في هذه السجون من أشهر قادة داعش وأخطرهم منهم كانوا أُمراء ووزراء وشرعيين ومقاتلين وغيرهم ممن كانوا مسؤولين عن مهام حساسة وعمليات قتل وتعذيب، منهم:

" **الكسندر كوتي** " **و** " **الشافعي الشيخ** "، بريطانيان ضمن فرقة معروفة بـ "فرقة البيتلز" وهي خلية تابعة لتنظيم الدولة مهمتها القتل والتعذيب وقطع للرؤوس. وذبح الرهائن، وجرائم الذبح الجماعي، وتم القبض على هذين الاثنين من قبل قوات سورية الديمقراطية أما الباقي فقد قتلوا أثناء المعارك.[٣٣]

إلياس آيدين: المعروف بـ (أبو عبيدة التركي)،معتقل لدى قوات سوريا الديمقراطية (QSD)، انضم إلى صفوف داعش في صيف عام ٢٠١٤ وهرب منها في شهر كانون الاول عام ٢٠١٧ بسبب الخلافات والحرب الأهلية حيث تم إلقاء القبض عليه من قبل قوات سوريا الديمقراطية (QSD)على حدود سري كانييه (راس العين) لدى محاولته الهروب إلى تركيا ما بين ٣٠-٣١ كانون الأول. وهو من أبرز المسؤولين عن نشر أفكار التنظيم وتحقيق الدعاية له، والمسؤول عن المعسكرات الشرعية في ولاية الشام.[٣٤]

من خلال اعترافات هذا القيادي، من المؤكد إنه لا يزال يعمل على نشر ودعاية تعاليم التنظيم بين المحتجزين، خصوصاً أنه لعب دور المؤثر القوي، لجذب العديد من المقاتلين له، فخطورة تواجده في سجون شمال شرق سورية لا يختلف عن خطره عندما كان في الخارج.

"**محمد صالح ناهي الشمري**"، الملقب بـ (أبو سفيان الشمري)، وصاحب الأنشودة الأشهر (يا عاصب الراس وينك) التي شاعت بين غالبية أنصار التنظيم وباتوا يترنمون بها. يعتبر من أوائل السعوديين الذين انضموا لصفوف المجاهدين في سوريا منذ عام ٢٠١٢، ثم التحق بتنظيم داعش الإرهابي وكان من أبرز قياداته حتى تم القبض عليه من قبل قوات سورية الديمقراطية نهاية ٢٠١٧، كان من عناصر التنظيم القلائل الذين قابلوا أبو بكر البغدادي زعيم

[33] There Is No Plan B for ISIS Prisoners

[34] داعشي يؤكد في اعترافاته: عناصر التنظيم يصلون إلى تركيا حاملين رايات جبهة النصرة

داعش مما يؤكد أنه ليس جندياً عادياً في التنظيم. كما كان صديقا للقائد العسكري السابق لداعش أبو عمر الشيشاني، وعضوا في مجموعته بجيش المهاجرين والأنصار قبل العام ٢٠١٣.[٣٥]

يعتبر الشمري من العقول المدبرة لتنفيذ عمليات خارج جغرافية التنظيم في سورية والعراق، وصاحب التأثير القوي على انصاره، ومن بين التهم الموجهة اليه، تنفيذ عمليات داخل السعودية وإرسال عناصر من التنظيم إلى فرنسا وألمانيا وبريطانيا؛ بهدف تنفيذ عمليات فيها. فمن السهل اثناء احتجازه في السجون شمال شرق سورية، أن يعمل على تحريض من في داخل السجن معه لتنفيذ عمليات في دولهم، عند أي فرصة تسنح لهم للخروج أو الهرب، وتحريض من في الخارج لتنفيذ عمليات.

بالإضافة إلى (الكوتي والشافي والتركي والشمري) يوجد الآلاف من المعتقلين في السجون، كانوا يحملون مهام حساسة داخل التنظيم، أي إن السجون في شمال شرقي سورية تحتوي على جهاز إداري وشبكة كاملة للدولة الإسلامية، في انتظار أي فرصة للخروج والاعلان عن عودة التنظيم وبقوة أكبر. حيث تقتضي استراتيجية التنظيم، العمل على إطلاق سراح بعض الاشخاص ممن لهم تأثير قوي على الناس كما فعلوا في السجون العراقية، حيث تحول داعش إلى حركة استولت ليس فقط على أراضي العراق وسوريا، وإنما قام بتنظيم وتشجيع الهجمات الارهابية في أوروبا والولايات المتحدة.

ويأتي الخطر أيضاً من باقي السجون التي تأوي معتقلين لأسباب أخرى غير مرتبطة بالإرهاب، لذا سيسعى عناصر التنظيم إلى إطلاق سراحهم كخطة لِزَجّهم في صفوفه.[٣٦]

٤. ٢. أطفال محتجزين (جيل ارهابي ينمو داخل السجون)

"كيف تقتل عدوك؟ وكيف تكون مخلصاً لقائدك او زعيم التنظيم؟"– سؤالان يوضحّان فيما يتعلق بالجيل الذي بقي من تَرِكة تنظيم الدولة، فقد علمهم التنظيم في البداية على الاجابة على هذين السؤالين، عبر عدة وسائل.

---

[35] قصة محمد الشمري.. صديق زعيم داعش الواقع تحت أيد "قسد" بالحسكة

[36] Intel officials say ISIS could regroup after U.S. 'betrayal' of Kurds in Syria /

حيث عمد على تهيئة الأطفال عبر ثلاث مدارس، لإعدادهم للقيام بالعمليات الانتحارية، وهي:

- المدارس الأولى هي (الدينية) الأكثر خطورة، لترسيخ الفكر الارهابي، وزرع الكراهية في نفوسهم.
- المدرسة الثانية هي (القتالية)، تقوم على تدريبهم على فنون القتال بشكل علمي.
- المدرسة الثالثة هي (الفكرية)، لتهيئتهم فكرياً ونفسياً للقدرة على ذبح ضحاياهم دون رحمة أو شفقة. فوفقاً لشهادة بعضهم إن إراقة الدماء عندهم أصبح شيئاً عادياً.[٣٧]

وفي شمال شرق سوريا السجون الصغيرة اكتظت بالقاصرين والأطفال ممن يتراوح أعمارهم بين ٩ و ١٤ عاماً، ممن قدموا إلى سوريا مع ذويهم واعتقلوا في هذه السجون، حيث أشارت بعض التقارير إن إحدى هذه السجون تضم حوالي ٨٦ قاصراً من سوريا والعراق وروسيا ودول أخرى، فيما تضم سجون أخرى حوالي ٦٧ مراهقاً.

ووفقاً لأعلاه يشكل هؤلاء الأطفال في السجون والمخيمات خطراً على العالم كونهم تلقوا تعاليم التنظيم الأيديولوجية على أيدي أمهاتهم ونساء التنظيم، والأشد خطورة هم أطفال السجون، كونهم تلقوا هذه التعليمات ضمن معسكرات منتظمة، وتدربوا على التسليح أيضاً. حيث أشارت العديد من التقارير الصادرة من قوات سورية الديمقراطية، بدلائل تشير أن العديد من القاصرين قد تلقوا تدريبات أيديولوجية، تحت مسمى "أشبال الخلافة" أو لجعلهم مقاتلين في المستقبل.[٣٨] فكان "جيش الدولة وجيش الخلافة وجيش عدنان" التابعة لتنظيم الدولة، يضم عدداً كبيراً من الأطفال تحت مسمى "أشبال الخلافة"، يتم تعليمهم كيف ولماذا يقتلون الكفار، وترغيبهم في القتال.[٣٩]

---

[٣٧] تقرير بالصور.. الإرهابي الصغير "أطفال داعش" ضحايا أم جناة!؟

[38] 'What Is Going to Happen to Us?' Inside ISIS Prison, Children Ask Their Fate/

[٣٩] تقرير بالصور.. الإرهابي الصغير "أطفال داعش" ضحايا أم جناة؟!

٥. موقف المجتمع الدولي من قضية المحتجزين

٥. ١. التحدي الأصعب

شكّلت قضية محتجزي التنظيم بالمخيمات والسجون تحدياً كبيراً للمجتمع الدولي سواء من حكوماتهم الأصلية أو المنطقة التي يعيشون فيها، إلا إن هذه الحكومات فشلت حتى الآن في اتخاذ موقف واضح حول مصيرهم.[٤٠] في الوقت الذي يجب عليه تحمل مسؤولياته تجاه عناصر التنظيم، وعدم إلقاء الثقل كله على كاهل الإدارة الذاتية، فاستعادة عناصر التنظيم إلى دولهم واخضاعهم لمحاكمات عادلة وإعادة تأهيلهم، من الخطوات الأساسية لضبط ما تبقى منهم. إلا إن الدول الأجنبية تسعى لعدم إعادة مواطنيها إلى موطنهم، فبحسب تقديرهم هم يمثلون خطراً على مجتمعاتهم، فتباينت المواقف والردود حيال هذه المسألة – نذكر منها: [٤١]

٥. ٢. عجز وتهرّب أوروبي

تحتفظ أوروبا بسجل مؤلم حيال الإرهاب الجهادي، كونها تعرضت لهجمات متكررة في فترة ما بعد ١١ سبتمبر، بالإضافة إلى هجمات داعش في باريس عام ٢٠١٥، والتي أودت بحياة ١٣٠ شخص، فبدأت بتعزيز إجراءاتها لمكافحة الارهاب، وتطوير سياسات التعامل مع المعتقلين الارهابيين. كما إن التدمير المستمر لخلافة داعش على الأرض كان نعمة لأوروبا، فعدد الضحايا من الارهاب في عام ٢٠١٨ بلغ حوالي ١٤ شخصاً، وهو انخفاض حاد مقارنة بعام ٢٠١٥ والذي تسبب بمقتل ما يزيد عن المئة. ولكن ما تبقى من العناصر المتبقية منهم ما تزال محتجزة في مخيمات وسجون شمال شرق سورية، الأمر الذي شكّل معضلة وتحدي صعب لديهم بسبب:

أ. ضعف قضائي للإرهاب (عقوبات مخففة)

ترغب أوروبا في تنفيذ عقوبات تسمح لاعتقال عناصر التنظيم مدة طويلة، إلا إن قانونها في كثير من الأحيان يحكم على المتهمين بقضايا إرهاب لفترات قصيرة، على عكس الولايات المتحدة، حيث يبلغ متوسط عقوبة السجن للإحكام المرتبطة بالإرهاب ١٥ عاماً تقريباً،

[40] Women and Children First: Repatriating the Westerners Affiliated with ISIS /
[41] The risks of ignoring former ISIS women members /

أما في أوروبا فالحكم القصير لشباب ارتبطوا بالتنظيم ولهم سجل بالعنف والتطرف أمر معقّد وخطير، فعند مغادرتهم للسجن وهم في سن مبكرة، يصبحون أكثر خطورة وتطرفاً. فإعادتهم بالنسبة للأوروبيين تعتبر مجازفة.[٤٢]

فالسياسة المفضلة للولايات المتحدة والعديد من الدول الأوروبية، هو مقاضاة هؤلاء لفترة طويلة، لذا بادرت الولايات المتحدة بإصدار قوانين تمنع حتى محاولة الانضمام إلى أية منظمة ارهابية، كما اعتمدت المملكة المتحدة قانوناً مشابهاً، وفرنسا أيضاً أجازت محاكمة المقاتلين الأجانب لمشاركتهم ضمن مجموعة تشكلت لغرض ارهابي. لكن بعض الدول الأخرى تفتقر لمثل هذه القوانين، فهي تحتاج إلى أدلة قوية على المشاركة الفعلية في الجرائم الإرهابية مثل الخطف أو القتل، وقد يكون من الصعب الحصول على مثل هذه الأدلة،[٤٣] التي قد تؤدي إلى عقوبات قصيرة بالسجن، حيث يمكن أن تتراوح عقوبة الجهادي بين ثلاث إلى خمس سنوات فقط قبل عودتهم إلى الشوارع.[٤٤]

في بلجيكا، كان متوسط عقوبة السجن للمقاتلين الأجانب العائدين خمس سنوات، وفي يوليو ٢٠١٩ حكم على امرأة المانية تزوجت من مقاتل داعشي بالسجن لمدة ٥ سنوات لانضمامها لمنظمة ارهابية، مما يكشف عن ضعف قضائي.[٤٥]

ب. غياب الأدلة

تتوفر عقوبات أكبر على عناصر التنظيم التي يمكن مقاضاتهم لفترات أطول كقتل المدنيين وتعذيبهم واستعبادهم، إلا إن هذا يتطلب أدلة واضحة، قد تتوفر مجموعة من مصادر الأدلة، لربط المتهمين بجرائم عنف كشهادة من الضحايا أو اصدقاء لهم أو أحد أفراد الأسرة،[٤٦] أو دليل على وسائل التواصل الاجتماعي بما في ذلك الصور والرسائل الذي يتباهى فيها الداعشي بالقتل، أو محاولة لتجنيد آخرين، أو أدلة من ساحة المعركة، أو وثائق لعضويتهم في

---

[42] Trump's Syria withdrawal is a boon for ISIS — and a nightmare for Europe

[43] Jenkins, M., op. cit., p. 17.

[44] They Left to Join ISIS. Now Europe Is Leaving Their Citizens to Die in Iraq /

[45] Dworkin, A., "Beyond good and evil: Why Europe should bring ISIS Foreign Fighters Home", ECFR /305 (2019), p. 8.

[٤٦] هيومن رايتس ووتش، عدالة منقوصة – المحاسبة على جرائم داعش في العراق، الولايات المتحدة، ٢٠١٧، ص ١٧.

التنظيم، كالهواتف المحمولة، والأقراص الصلبة، وبصمات الأصابع على الأسلحة، ومصادر مخابراتية. لكن رغم ذلك ليس جميع هذه الأدلة مقبولة، فألمانيا تفرض قيود على استخدام منشورات التواصل الاجتماعي كدليل.

كما أن جمع الأدلة في شمال شرق سورية يشكل تحديات كبيرة، خاصة في أعقاب الغزو التركي، وتشعر الحكومات الأوروبية بالقلق من فرار عناصرها دون أدلة، أو تقديم بعضهم بأدلة ناقصة.[٤٧]

وبعد اعتماد قرار مجلس الامن التابع للأمم المتحدة رقم ٢١٧٨ في سبتمبر ٢٠١٤، والذي طالب الدول بإصدار قوانين لمحاكمة المقاتلين الأجانب، فاصبح لدى معظم الدول الاوروبية تشريعات تسمح بمقاضاة العائدين لانتمائهم إلى جماعة ارهابية أو دعمها، فالسويد عدلت قانون تم إدخاله عام ٢٠١٦، يجرم السفر لأغراض الارهاب.

لكن الاختلاف الكبير بين الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، في كيفية تعريف الجرائم، فلا تزال هناك سوابق قضائية بهذه القوانين تدين المحاكم الأوروبية لتسجيلها الرجال كمقاتلين في وثائق داعش، كما انه من غير المرجح تواجد أدلة كافية للإدانة في المناطق التي كان يسيطر عليها التنظيم، فادعاء العديد من الرجال الأسرى بأنهم قد أدوا أدواراً غير قتالية كسائقين أو طهاة، في كثير من الحالات يصعب دحض هذه الادعاءات عند افتقار الأدلة.[٤٨]

ج. سجون حاضنة للتطرف

من التحديات الرئيسية التي تتخوف منها الدول الأوروبية، بحسب تحليلهم أن الكثير من المعتقلين لديهم ممن لم يسافروا إلى سوريا والعراق، وليس لهم أي صلة بداعش أو القاعدة، إلا إنهم استلهموا هذه الأيديولوجيات. لذا فهم يرون مسألة إعادة المعتقلين من عناصر التنظيم وزجّهم مع معتقلين بقضايا أخرى، قد تسبب في تحول كل من في السجن لمتطرف. كما أن خروج هؤلاء مع المتطرفين يشكل خطراً بالغاً على الأمن وعبئاً على عناصره فاذا كان الأمر قبلاً يتطلب مراقبة عناصر التنظيم بعد انتهاء مدة حكمهم وخروجهم من السجن، أصبح الآن لديهم

[47] Dworkin, A., op. cit., pp. 8-9.
[48] Dworkin, A., Ibid p. 7

مهمة مراقبة من كانوا متهمين بقضايا أخرى لا ترتبط بالإرهاب، خشية تأثرهم بالعناصر المتشددين أثناء فترة الحكم، فقد أشار وزير العدل الفرنسي انهم يتوقعون مغادرة ٤٥٠ شخصاً من السجون الفرنسية، منهم ٥٠ متهما بقضايا ارهاب و ٤٠٠ كمجرمين عاديين، ففي هذه الحالة سيتم التعامل مع ٤٥٠ شخصا كمتطرف، وهو ما يشكل تحدٍ كبير لديهم. بالإضافة إلى التكلفة الباهظة لمراقبتهم.[٤٩]

د. استطلاع شعبي (رفض)

من الأمور الاخرى التي تستند عليها معظم الدول الأوروبية حول إعادة عناصرها من التنظيم هو الرفض الشعبي، فقد أجري استطلاع عام في فرنسا لعودة مقاتليه من التنظيم، حيث عارض ٨٩ %، لعودة البالغين، و٦٧% عارضوا عودة الأطفال.[٥٠]

٥. ٣. حلول غير مجدية

٥. ٣. ١. إبقائهم بعيداً

سببت قضية محتجزي تنظيم الدولة الإسلامية في شمال شرق سورية معضلة لدى الولايات المتحدة والدول الاوروبية وغيرها، لكثرة عددهم، وخطورتهم، وصعوبة الحل. لذا فقد أصبح الخيار صعباً أمامهم ولم يجدوا سوى خيار يمكنهم من إبعادهم عبر:

تجريد الجنسية

اكتسبت هذه الفكرة جاذبية سياسية وعاطفية، مما يقلل من مخاطر عودتهم بهروبه من العدالة أو قضاء فترة قصيرة في السجن، فتجريدهم من الجنسية يفيد السياسيون في أي بلد غربي، حيث تصبح أي عملية تتعلق بالإرهاب لا ترتبط بالدول التي كانوا مواطنيها كونهم مجردين من جنسيتها، لذا يُبقون مقاتلون مجهولون، ولم يعودوا من رعايا البلد، وبالتالي تخلي الحكومة مسؤولياتها عنهم.[٥١] وقد سلّطَ الإعلام على هذه القضية نفذت على عِدة أشخاص منهم:

---

[49] EU counter-terrorism chief: Europe 'may see something like Daesh 2.0'/

[50] They Left to Join ISIS. Now Europe Is Leaving Their Citizens to Die in Iraq /

[51] Jenkins, M., op. cit., p. 16.

"**هدى مثنى**" أمريكية من أصل يمني، التحقت بالتنظيم منذ عام ٢٠١٤، وأثناء وصولها ادّعت مع عدد من النساء ممن يحملون جوازات امريكية وبريطانية وكندية واسترالية، بأنهنَّ سيحرقنَ هذه الجوازات لأنهنّ لَسْنَ بحاجة إليها بعد الآن. وبعد ما يقارب ٣ سنوات اعتقلت قوات سورية الديمقراطية "هدى مثنى" اثناء محاولتها الهروب، ثم نُقّلت إلى مخيم الهول. وهناك سَعَت العودة للولايات المتحدة كونها مواطنة أمريكية، إلا ان الأخيرة أنكرت أنها حاصلة على جنسيتها، بلسان وزير خارجيتها بومبيو ٢٠ فبراير ٢٠١٩، مدعياً بعدم حملها أي جواز امريكي ولم يتم قبولها للسفر، وأساس الحِجة أن والدها كان دبلوماسياً يمنياً في الولايات المتحدة، والقانون لا يمنح الجنسية الأمريكية لأطفال الدبلوماسيين ممن ولدوا في الولايات المتحدة، إلا أن بعض المحامين، صرحوا بأن والد "هدى مثنى" لم يكن يتمتع بأي وضع دبلوماسي عندما ولدت هدى، حيث انتهت خدمته كدبلوماسي قبل ولادتها، مستنكرين سياسة إدارة ترامب بتجريد مواطنيها من جنسيتهم بصورة غير مشروعة.[٥٢]

"**شاميما بيغوم**" المُلقبة بعروس داعش، شابة بريطانية، أمضت أربع سنوات مع التنظيم، وحظيت باهتمام عالمي، ولم تُظهر أي ندم بانضمامها للتنظيم.[٥٣] حصل جدل كبير بشأنها في بريطانيا، حيث أصر العديد من الوزراء بعدم السماح لعودتها إلى المملكة المتحدة، وحذّر آخرون أنها لا تزال تشكل تهديداً محتملاً.[٥٤] الأمر الذي دفع السلطات إلى تجريدها من جنسيتها البريطانية.[٥٥] حيث تم إلغاء جنسيتها بحجة أنها مواطنة مزدوجة الجنسية وتحمل الجنسية البنغلادشية، بالرغم من نفي الأخيرة بأنها من مواطنيها، مما يجعلها كشخص بدون جنسية، وهو إجراء غير قانوني بموجب القانون الدولي.[٥٦]

خطورة قرار تجريد الجنسية وعواقبه

من الناحية العملية تجريد أي شخص من جنسيته وخاصة الأوروبيين والأمريكيين، لا يمنع من تسلله إلى البلاد ولكن سيجعله أصعب، خاصة أن الضوابط الحدودية أصبحت أكثر

[52] The curious case of Hoda Muthana; A former ISIS member and US citizen /
[53] The risks of ignoring former ISIS women members /
[54] Shamim Begum; Isis child bride says she had, good time, in Syria but wants to bring baby home /
[55] The risks of ignoring former ISIS women members /
[56] The curious case of Hoda Muthana; A former ISIS member and US citizen /

هشاشة، فالعديد ممن جُرّدوا من جنسيتهم قد يكونوا من النادمين أو التائبين لانضمامهم للتنظيم، لذا من المحتمل أن يشعروا بالاستياء والعودة للتطرف، بهذه الحالة يصبح هؤلاء المقاتلون وغيرهم ممن جُردوا من جنسيتهم ولا يملكون أي انتماء قانوني، أكثر خطورة من الذين يتم استعادتهم إلى بلدانهم بشكل قانوني.[٥٧]

٦. تحديات احتواءهم في المنطقة

٦. ١. صعوبة تأمينهم

أظهرت الأحداث الأخيرة عند التوغل التركي في اكتوبر ٢٠١٩، مدى خطورة الأمن في المنطقة التي تأوي المعتقلين، على الرغم من احتفاظ قوات سورية الديمقراطية بالسيطرة على المخيمات والسجون، إلا إن قرار الولايات المتحدة بالانسحاب، غيّر ميزان القوى.[٥٨] فعلى الرغم من تمكن قوات سوريا الديمقراطية من تأمين هذه المخيمات والسجون، إلا ان نشر مقاتليها كحراس قد لا يستمر في الوقت الحالي، نتيجة الهجمات التركية المتكررة عليها، مما قد يُمَكّن مقاتلي التنظيم استغلال حالة لفوضى للمحاولة للهروب واستهداف هذه المخيمات والسجون.[٥٩]

٦. ٢. نقص الخدمات يزيد العنف

عدم الاستقرار ونقص الخدمات والرعاية الطبية في الملحق الاجنبي للمخيمات والسجون، يؤدي إلى تأجيج العنف، وتصاعده يوماً بعد يوم، واندلاع مواجهات يومية ومنتظمة بين النساء من المعتقلين وبين مسؤولي هذه المراكز وموظفي الإغاثة، حيث منعت المخاطر الأمنية مجموعات الإغاثة من توفير الخدمات الكافية وأصبحت المنطقة مسرحاً لكارثة انسانية، مليئة بالأمراض، سكانها يفتقرون للغذاء الكافي والماء النظيف.

هذه الظروف لها تأثيرها الأكبر على الأطفال فمحدودية فرص الحصول على الرعاية الصحية تلحق ضرر بهم، ففي مخيم الهول بلّغ عن حالات كثيرة من الإسهال الحاد بين الأطفال

---

[57] Jenkins, M., op. cit., p. 16.
[58] Women and Children First: Repatriating the Westerners Affiliated with ISIS /
[59] Fine, Glenn and others., op. cit., p. 6.

نتيجة سوء التغذية، كما تم الابلاغ عن مرض السل والحصبة والتهاب الكبد على نطاق واسع، وحالات وفاة كثيرة، ناجمة عن الالتهاب الرئوي وانخفاض حرارة الجسم.[٦٠]

٦. ٣. صعوبة إيجاد محاكم بديلة على الأرض

في سورية والعراق

من الناحية القانونية يحق للحكومتين المطالبة بالولاية القضائية على المتطوعين الاجانب الذين انضموا للدولة الإسلامية، كونهم مذنبون بجرائم ارتكبت على أراضيها.

وبينما يضمن الدستور العراقي والسوري الحق في محاكمة عادلة ويُحظر التعذيب أو المعاملة السيئة، فإن الدول الغربية ترى أن النظام القضائي في هاتين الدولتين ضعيف وغير قادراً على تأمين الضمانات اللازمة، وبالتالي لا يمكن لهذه الدول التدخل لحماية مواطنيها ممن حُكموا في سورية أو العراق، بالإضافة لعدم تمكنهم من التدخل في شكل العقوبة المقررة، كونها مقررة من حكومات معترفة، فيزيد من مخاوف دول المعتقلين الأساسية، من إصدار أحكام مخففة، أو تبرئتهم.[٦١]

في تركيا

العواقب الكارثية لسياسة ترامب في سوريا، تركت انعكاسات خطيرة لمحتجزي التنظيم، فقراره بالانسحاب، وسماحه لتركيا بالتوغل مقابل التعامل مع معتقلي التنظيم، لم تجدِ نفعها، فاستناداً إلى التجارب التركية السابقة، لم يقضِ محتجزي التنظيم وقتاً طويلاً لديها، حيث أُطلق سراحهم، وباتوا يقاتلون ضمن صفوفها، لذا فهذا سيناريو غير مجدي.

كما أن خطة حراسة تركيا للمعتقلين، غير حكيمة، ومحفوفة بالمشاكل، كونها تفتقر للقوانين الخاصة بوضع المقاتلين، بالإضافة إلى أن النظام القضائي التركي يعاني من تراكم آلاف القضايا، ناجمة عن محاولة الانقلاب عام ٢٠١٦، وغيرها. كما أن عقوبة السجن لديها لا تزيد عن السبع سنوات إذا ما ثبت على المتهم بأنه عضو في منظمة ارهابية أو يدعمها.

---

[60] Women and Children First: Repatriating the Westerners Affiliated with ISIS /

[61] Jenkins, M., op. cit., p. 17.

ومن ناحية أخرى، بعد الانقلاب الفاشل، سرّحت تركيا الآلاف من المُدّعين والقضاة، ممن كانوا أكثر مسؤولي مكافحة الارهاب خبرة في البلاد، وهو ما يؤكد أن القضاء غير كفؤ، فقد أُطلق سراح العديد من عناصر التنظيم لعدم وجود أدلة حسب زعمهم، وتم القبض عليهم ومحاكمتهم من جديد في بلدانهم بِتُهم مرتبطة بالإرهاب.[٦٢]

٦. ٤. عُقدة انشاء محكمة دولية

أيّد العديد من الزعماء الغربيين اقتراح قوات سورية الديمقراطية بإنشاء محكمة دولية[٦٣] في العراق أو سورية، حيث أيّدت الحكومة البلجيكية هذه الفكرة، ودعا مجلس الأمن القومي في بلجيكا المحكمة الدولية بمقاضاة جميع المقاتلين الاوروبيين الذين اعتقلتهم قوات سورية الديمقراطية والحكومة العراقية، وأن يتم بالتشاور مع الدول الأخرى التي تواجه نفس المشكلة، على أن يتم احتجاز المقاتلين الارهابيين في معسكرات المنطقة، والأطفال دون سن العاشرة يتلقون المساعدة للعودة إلى الوطن، أما ما فوق سن العاشرة سيتم تحليل حالة كل واحد منهم على حدا.

وقد ايدت قوات سورية الديمقراطية فكرة محاكمة عناصر التنظيم المحتجزين لديها، لكسر هذا الجمود والتردد لدى العديد من الحكومات التي ترفض إعادة مواطنيها. فعدم تمكين شرعية هذه القوات وافتقارها للدعم اللوجستي لتأمين هؤلاء المعتقلين على مدى طويل، يرى قادة قوات

---

[62] Nobody Has a Plan for ISIS Fighters Detained by Kurds in Syria/

[٦٣] المحكمة الجنائية الدولية: ينظم عملَ المحكمة الجنائية الدولية نظامُ روما الأساسي الذي يمنح المحكمة اختصاصاً وولاية محددين ومعرفين. ويتسم نظام روما الأساسي بسمة أساسية (المادتان ١٢ و١٣)، وهي أن المحكمة لا يجوز أن تمارس اختصاصها على الجرائم الدولية إلا في إحدى الحالات الآتية: (١) إذا قبلت الدولة التي ارتُكبت الجريمة في إقليمها اختصاص المحكمة، (٢) أو إذا قبلت الدولة التي يكون الشخص المتهم بالجريمة أحد رعاياها اختصاص المحكمة، (٣) أو إذا أحال مجلس الأمن الحالة إلى المدعي العام متصرفاً بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة.

ويُجري مكتب المدعي العام بالمحكمة أعمال تحقيق ومقاضاة مستقلة ونزيهة في جرائم الإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب. وقد فتح مكتب المدعي العام تحقيقات في: أوغندا، وجمهورية الكونغو الديمقراطية، ودارفور بالسودان، وجمهورية أفريقيا الوسطى، وكينيا، وليبيا، وكوت ديفوار، ومالي. ويُجري المكتب أيضاً دراسات أوّلية متصلة بالحالات في أفغانستان، وكولومبيا، وجورجيا، وغينيا، وهندوراس، والعراق (الانتهاكات المزعومة على يد قوات المملكة المتحدة)، ونيجيريا، وفلسطين، وأوكرانيا.

سورية الديمقراطية، إن أفضل الحلول هي إنشاء محكمة دولية لهم.[٦٤] كون الملاحقات القضائية للجرائم الدولية يمكن أن تكون أكثر تأثيراً عندما تُعقد داخل المجتمع الذي ارتكبت فيه الجرائم، إلا أن هذا الحل البديل يطرح تحديات قانونية وعملية، حيث يتطلب إرادة سياسية، وقدرة قوية في النظام القانوني، لذا تحتاج المحكمة الدولية لمفاوضات مكثفة ودعم واسع سياسياً ومالياً لتحقيق النجاح.[٦٥]

وبحسب ما أشار المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية في عام ٢٠١٥ أنه بالرغم من وجود أجانب شاركوا في جرائم ضد الانسانية وجرائم حرب، إلا ان الدولة الإسلامية، كان يقودها في المقام الأول مواطنون من سورية والعراق (والاثنين ليس طرفان في المعاهدة التأسيسية للمحكمة الجنائية الدولية) وتقتضي المسؤولية في المقام الأول على عاتق السلطات الوطنية. ولا تتمتع المحكمة بأي اختصاص اقليمي على أراضيها. غير أنه يجوز للمحكمة بموجب نظام روما الأساسي ان تمارس الاختصاص الشخصي على من يزعم ارتكابهم الجرائم من رعاية أي دولة طرف في المعاهدة فقط. لذا تقضي سياسة المحكمة إنْ (اعتُمدت) حالياً على أكثر الأشخاص مسؤولية عن ارتكاب جرائم حرب. أي القادة، وهو ما يترك آلاف المقاتلين الآخرين دون آية محاكمة وفق سياستها.

وخَلّص المُدعي أن أساس الاختصاص اللازم لفتح دراسة أولية لهذه الحالة محدود للغاية. لكن في حال شعور الدول الأعضاء بوجود حاجة ملحة للمساعدة في تحديد سُبُل ناجعة، لا بد من صدور قرار من الدول المعنية (غير الأطراف في المعاهدة) أو من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة يقضي بمنح الاختصاص للمحكمة وهذا أمر مستقل كلياً عن نظامها الأساسي.[٦٦]

لكن ما يصعب الأمر أن المقاضاة في المحكمة الجنائية الدولية تستغرق سنوات، ومن الناحية المؤسسية لن تُحاكِم المحكمة أعداداً كبيرة من الأشخاص. كما أن طرح الفكرة في الاتحاد الأوروبي يفتقر إلى التوافق في الآراء. لذا لا توجد محكة دولية تحل مشكلة المعتقلين من عناصر التنظيم في سوريا والعراق ما لم تتفق كل الدول مسبقاً على تولي رعاياها، وبنفس الوقت

---

[64] Belgian government supports international prosecution for ISIS fighters

[65] The Risks of Repatriating—Or Not—ISIS Foreign Fighters from the West

[٦٦] بيان المدعية العامة للمحكمة الجنائية الدولية، فاتو بنسودا، بشأن الجرائم المزعومة التي ارتكبتها الدولة الإسلامية في العراق والشام

من غير المشروعية احتجاز مواطنين في سجون بلد آخر ولا يُحاكمون بمحاكمها وبموجب قوانينها الخاصة.[٦٧]

٦. ٥. خلايا متحررة

بموجب القانون الدولي يجب إطلاق سراح أسرى الحرب واعادتهم إلى أوطانهم بعد انتهاء القتال (ما عدا الذين ارتكبوا جرائم حرب)، أما بالنسبة لمن احتجز لأسباب أخرى، فإن القانون – يوصي ولا يفرض – بالإفراج عنهم في نهاية النزاع، عند غياب الأسباب التي لا تستدعي اعتقالهم.

لكن في سوريا والعراق لم تنتهي الأعمال العدائية، على الرغم من احتواء خطر التطرف، واستعادة الأراضي التي استولى عليها، إلا إن قادتها والعديد من مقاتليها ما زالوا طليقين، واجبروا على العمل سرياً، حيث عادوا إلى القرى التي شكَّلوا فيها خلايا لتواصل الكفاح المسلح، وفي الوقت نفسه يمارس التنظيم قدر من النفوذ القسري في المناطق التي فقدها.

الحديث هنا ينطبق بشكل خاص على المقاتلين الأجانب ممن قدموا إلى سوريا والعراق للقتال كجهاديين، ولن يميلوا كما السكان المحليين للبقاء على قيد الحياة أو كمقاتلين تحت الأرض، يمكنهم اعادة الانتشار في جبهات أخرى، وهي سمة للجهاد العالمي، حيث يهاجر المقاتلون من ساحة المعركة إلى أخرى، وبهذا الشكل لن ينتهي الصراع العالمي لسنوات.[٦٨]

خاتمة وتوصيات

في النهاية لا بد من القول ان الحقائق لا تقتصر على المجاملات أو الأخبار السارة، فاستعادة المدن وقتل رأس التنظيم (ابو بكر البغدادي) لا يُخفي حقيقة تركه لمجموعات منظمة ومُمنهجة ومستعدة، مهمتها القتل والحرق، يبدون كحزام ناسف يطوق الجميع، إنهم "تركة داعش"، من محتجزين وخلايا نائمة ستبقى لعنة تلحق الجميع وتحصد الأرواح وتحتل الأراضي تحت مسمى "الجهاد" ما لم يتحرك الجميع لحله من الجذور.

---

[67] Jenkins, M., op. cit., p. 18.
[68] Jenkins, M., op. cit., p. 15.

وفي ظل هذا العجز لا يسعنا سوى تقديم بعض التوصيات علّها تحل جانب من عُقدة تَرِكَة التنظيم وهي:

– استقرار الوضع في شمال شرق سورية، فعدم الاستقرار هناك يزيد من خطر فرار العديد من عناصر التنظيم من مختلف الدول والانضمام لجماعات جديدة، بالإضافة لتنفيذهم لهجمات جديدة وتجنيد العديد من العناصر إما في الشرق الأوسط أو أوروبا.

– ايجاد وِرش عمل تثقيفية وتكثيفها لتأهيل عوائل التنظيم وأطفالهم والنازحين، مما يخفف من طابع العنف لديهم.

– الحلول المتعلقة بإلغاء الجنسية من الأمور الأكثر خطورة، فإلغاء الجنسية أو عدم ايجاد سُبُل بديلة لدى هؤلاء العناصر يشجعهم على إعادة التطرف، لعدم وجود أي مكان آخر يلجؤون إليه، فالسبيل الوحيد امامهم هو انضمامهم للتنظيم في سوريا أو جماعات متطرفة في أماكن أخرى. لذا سيكون من الأفضل اعادتهم إلى موطنهم الأصلي ومحاكمتهم.

– إعادة تأهيل اعضاء داعش السابقين، بمن فيهم النساء والاطفال، كخطوة ضرورية لمنع التطرف من الظهور، ووضع حد للعنف. فتجاهلهم سيجعلهم يُشكّلون مصدر خطر لبلدانهم وحتى المجتمعات المحلية في سورية مما سيزيد من زعزعة استقرار المنطقة.

– على الحكومات ممن لديهم مواطنين محتجزين لدى الادارة الذاتية، العمل معهم لإمكانية تطوير آليات عدالة مشروعة، كبناء مرافق لاحتجاز المعتقلين بشكل آمن وانساني، إلى أن يتم البت بأمرهم بشكل نهائي.

– محاكمة عناصر التنظيم، في المناطق التي ارتكبوا فيها الجرائم، واكتساب شرعية محاكتهم عبر التنسيق بين قوات سورية الديمقراطية، والحكومة السورية. أو السعي لإنشاء محكمة دولية لمقاضاة مرتكبي الجرائم وباقي المعتقلين، على ان تضم هذه المحكمة مختصين دوليين من أعضائها، وأن تشمل المحاكمة باقي المتهمين بالإبادة الجماعية وجرائم ضد الانسانية أو جرائم حرب، وليس فقط المنتمين للجماعات الإرهابية.

– وضع ترتيب يقوم على غربلة أو تصفية العديد من الموقوفين أو المدانين، في الأراضي التي يُحتجزون فيها، وتكون تحت رعاية نفس الحكومات التي شاركت في حملة التحالف ضد تنظيم الدولة الإسلامية، واعتبارها عنصراً ضرورياً في مهمتها.

– تقييم مبدئي لتقييم الموارد المطلوبة، كـ (المقابلات، المتدربين، تحسين البنية التحتية لخلق بيئة آمنة، تحسين ظروف المخيمات، فرز القاطنين) مما سيمنع الأزمات الانسانية والنفسية المحتملة.